المؤتمر الدولي الاول لتاريخ الاردن وآثاره

بقلم : سليمان الموسى

عقد هذا المؤتمر في كلية (كرايست شرش) في مدينة اوكسفورد ، خلال اسبوع من الزمن (الثلاثاء ٢٥ آذار ــ الاثنين ٣١ آذار ١٩٨٠) ، برعاية صاحب السمو الملكي الامير حسن ولي العهد المعظم . وقد اشترك في هذا المؤتمر اكثر من ٢٥٠ عالماً من علماء التاريخ والآثار ، جاءوا من خمسة وعشرين قطراً من أقطار العالم : بعض هؤلاء الاساتذة أسهم بالقاء أبحاث تتّسم بطابع التخصص ، والبعض أسهم في المناقشات والنشاطات الاخرى .

لقد كان اختيار مدينة اكسفورد مكاناً لانعقاد المؤتمر لانها متوسطة بين الشرق والغرب ولسهولة المواصلات ولتوافر الامكانيات في الجامعة والتسهيلات للاساتذة المحاضرين والباحثين مما جعلهم يعيشون تلك الفترة براحة نفسية تامة في جو اكاديمي هادىء سهل عليهم مهمتهم ، وكانت اللغة الانجليزية هي السائدة في المؤتمر بالنسبة للابحاث والمناقشات . اللهم فيما عدا عدد قليل من الابحاث القيت باللغة الفرنسية . وهذا ما اضفى على المؤتمر الصفة الدولية الشاملة .

تجلّى الاعداد الدقيق للمؤتمر في حفل الافتتاح الرائع . والذي أقيم في قاعة مسرح (شلدونين) الفخم التابع لجامعة اوكسفورد مساء يوم الثلاثاء . وقد تميّز حفل الافتتاح بحضور عدد من عليّة القوم في بريطانيا وعدد من السفراء العرب . كما حضر حفل الافتتاح . وشارك في حضور جلسات المؤتمر : الامير شقيق امبراطور اليابان والاميرتان دينا وعاليه . وفي هذا الحفل ــ الذي تخلّلته معزوفات مختارة على الارغن ــ القيت خطابات موجزة ، ولكنها ذات دلالة . فقد تكلم على التوالي كل من : نائب رئيس مجلس ادارة جامعة اوكسفورد ، ثم الدكتور عدنان الحديدي مدير دائرة الآثار الاردنية ، ثم المسر دوجلاس هيرد عضو مجلس النواب وزير الدولة في وزارة الخارجية البريطانية ، ثم سمو الامير حسن ، وأخيرا الامير شارلس ولي عهد بريطانيا . ومما أثار اهتمام المشاركين في الحفل ان سمو الامير حسن ألقى خطابه ارتجالا ، بعبارات موثوقة المعنى محبوكة المبنى . وقد برهن بحضور ذهنه وتوقّد بديهته وقوة ذاكرته انه حقاً سيد من سادات المنابر . وبعد أن عرض الغاية المتوخاة من عقد المؤتمر ، لم يفته ان ينوه بجهد اثنين خدما علم الآثار في الاردن ، هما المرحوم جيرالد لانكستر هاردنج والمرحومة كاثلين كينيون .

وطوال أيام المؤتمر كانت الجلسات تعقد يوميا في دورتين : واحدة قبل الظهر والثانية بعد الظهر . وقد عاش المشاركون تلك الايام في جو أكاديمي محض ، فالاقامة في غرف يقيم فيها عادة أساتذة الكلية وطلبتها (وكان هؤلاء في اجازة عيد الفصح في ذلك الاسبوع) . ووجبات الطعام في حرم الكلية أيضا . اما الندوات ففي قاعة واسعة غير بعيد عن أبنية الكلية .

سارت الجلسات على نظام دقيق . فكل محاضر يلقي خلاصة لبحثه في خلال نصف ساعة ، تتلوها خمس عشرة دقيقة للمناقشة ، وبذلك كانت كل دورة تتسع لاربع أو خمس محاضرات . ومن الطبيعي ان تظهر في أثناء ذلك المزايا الشخصية لكل محاضر : فهناك الذين أعدّوا ملخّصات طويلة ، فأخذوا يقرأون بسرعة فوّتت على المشاركين امكانية استيعاب كل ما يقال . وهناك من التزم بالوقت المحدد . وهناك من تجاوزه قليلا . وهناك الاساتذة المتمرّسون الذين يتحدثون بثقة وعفوية . وهناك من استعانوا بالصور والرسوم والمخططات فتعرض على الشاشة ويقومون هم بالشرح

والتفسير . وعلى العموم فقد كانت الحيوية تسيطر على جو المؤتمر سواء في العطاء أو التلقّي ، وكانت تلك الحيوية تتجلّى في أثناء المناقشات . وممن ترك في نفسي انطباعاً قوياً السيدة (أولجا تفنل) وهي عالمة في الآثار ، فقد شاركت بصورة فعّالة في التعليق على بعض الابحاث ــ على الرغم من أنها تقارب الثمانين عاما من العمر ــ وكانت تتحدث بمنطق وقوة بديهة وحضور ذهن ، فتمثّل بذلك سرّ التشبّث بالحياة بالنسبة للانسان ، وأصراره على أن يكون عضوا نافعاً في المجتمع البشري ، مهما علت به السن .

كان تقديم الابحاث في المؤتمر على حساب التسلسل الزمني ، ضمن الترتيب التالي :

١ ــ جغرافية الاردن وتكوينه الجيولوجي .

٢ ــ العصور القديمة .

٣ ــ العصور البرونزية .

٤ ــ العصر الحديدي .

٥ ــ عصور اليونان والانباط والرومان والبيزنطيين .

٦ ــ العصور الاسلامية حتى نهاية الدولة العثمانية .

ولما كنا نعتمد في استقراء تاريخ بلادنا القديم على مكتشفات علماء الآثار والجيولوجيا ، وتفسيرهم لتلك المكتشفات ــ فقد كان للابحاث المتعلقة بالعصور القديمة أهمية خاصة . ومن خلال تلك المكتشفات ، ومن مقارنتها بعضها ببعض ، يستطيع العلماء ان يصوّروا حياة الانسان القديم ، وحياة المجتمع الذي كان يعمل على تطويره مع مضي الزمن . وقد لخّص الاستاذ بندر (المانيا الغربية) الحياة القديمة في الاردن على الوجه التالي :

— قبل ٥٠٠ الف سنة كان الطقس دافئاً ورطبا ، وكانت هناك بحيرات وجداول ماء وينابيع عديدة .

— قبل ٢٠٠ الف سنة كانت هناك بحيرة تمتد من بحيرة طبريا الى غرندل ، كما كانت هناك بحيرات في الهضاب الشرقية .

— قبل ١٠ آلاف سنة ، تقلّصت البحيرة الكبيرة في وادي الاردن حتى أصبحت البحر الميت الذي نراه اليوم ، بالاضافة الى بحيرات صغيرة في الجهات الشرقية .

وقد يكون من المفيد أن اعطي تلخيصاً لعدد من الابحاث التي استرعت الانتباه :

الاستاذ فيتا فنزي :

كان وادي الاردن بحيرة كبيرة ، جفّ مع مضي القرون ، ثم عاد وامتلأ منه الجزء الذي نراه الآن (البحر الميت) . وكانت هناك بحيرة في الأزرق وبحيرة في الجفر . أحدثت البراكين تأثيرات كبيرة على شكل طبيعة الارض . ومع مضي الزمن انجرفت التربة التي كانت تغطي وجه الارض ، من فوق الهضاب ، وهبطت الى البحيرات ... كان هذا المحاضر قديرا على اثارة اهتمام الحضور ، وقد استعان على ذلك بالاشارات الذكية المزوجة بروح الفكاهة . تبدّى في محاضرته سرّ من أسرار الموهبة الشخصية ، ووفرة الحيوية .

السيدة ديانا كركبرايد :

العصر الذي نشأت فيه اريحا والبيضا وابو نخيله .

الاستاذ باسل هنّسي :

الحفريات في تليلات الغسول . تدل على ان الانسان أقام فيها من سنة ٤٦٠٠ الى ٣٦٠٠ ق.م.

الاستاذ توماس شوب :

الحفريات في باب الذراع . ونشوء المدن المسورة .

الاستاذ هولمز :

الحفريات في جاوه (قرب H. 4.) . قدّم بحثا يفيض بالحيوية خلاصته ان سكان جاوه أنشأوا سدّاً واسعا للماء ، ولكن اقامتهم لم تطل هناك . يعتقد ان البدو كانوا يحيطون بالمنطقة ، وبسبب احتياجهم للماء في فصل الصيف ، هاجموا أهل جاوه واضطروهم الى الرحيل . وبطبيعة الحال خرب السد .

الاستاذ بيتر بار :

الاتصالات بين شبه الجزيرة العربية والاردن في العصر البرونزي والعصر الحديدي (صناعة الفخار والاستدلال بها على قضايا حياتية متعددة) .

الاستاذ فرانكن :

دراسة الفخار في دير علاّ ــ أشكال الفخار والطين الذي يُصنع منه .

الاستاذ ويبرت :

الادوميون في جنوب الاردن (منطقة معان) . مناقشة نظريات نلسون جلوك .

الاستاذ بيرنهارد :

ميشع ملك مؤاب .

السيدة كريستال بنت :

التأثير الآشوري في الاردن . في القرن الثامن ق.م. كانت امارات عمون ومؤاب وأدوم تخضع لدولة الآشوريين . المعلومات المستنبطة من الحفريات .

الاستاذ عاصم البرغوثي :

حضارة فلسطين والاردن في أيام اليونان والرومان (حفريات في جرش) .

الاستاذ عبد الرحمن الانصاري :

العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والانباط (حفريات الفاو) .

الاستاذ سليمان المقداد :

دور مدينة بصرى في تاريخ الاردن في أيام الانباط والرومان .

الاستاذ صفوان التل :

الفن المعماري الاسلامى في الاردن .

الاستاذ محمود الغول :

كتابات الصفويين (كلمة : وجم)

الاستاذ ساور :

فخّار الاردن في العصور الاسلامية الاولى

الاستاذ عبد العزيز الدوري :

فكرة القدس في الاسلام

كاتب هذا المقال :

الاردن في أواخر الدولة العثمانية

يستطيع القارىء من خلال هذه العناوين والملاحظات الموجزة ، أن يلاحظ ما ينطوي عليه نشر هذه الابحاث في مجلد واحد من أهمية قصوى . وفي اعتقادي ان نشرها ووضعها بين ايدي طلاب العلم والمعرفة سوف يساعد الى حد كبير على اعادة كتابة تاريخ الاردن القديم ، على مزيد من الاسس العلمية الموثقة .

واذا كان هذا المؤتمر حاول ان يغطي تاريخ الاردن وآثاره منذ أقدم العصور حتى مطلع القرن العشرين ــ فان المؤتمرات التالية ، سوف يركز كل واحد منها على فترة معينة من فترات التاريخ .

لقد كان المؤتمر ناجحا الى حد بعيد ، وكان انجازا علميا ثقافيا في غاية الاهمية . ولا شك ان قسطا كبيرا من اسباب نجاح المؤتمر يعود الى ما أبدى سمو الامير حسن من اهتمام شخصي وما اعطى له من وقت . كما ان جهود الدكتور عدنان الحديدي مدير دائرة الآثار ومساعديه وموظفي دائرة الآثار عموما ــ أثمرت في الترتيبات الدقيقة والاعداد المنظم ، من البداية الى النهاية . وهذا كله جدير بالتقدير والتنويه .

ومثلما افتتح سمو الامير حسن جلسات المؤتمر ، فقد اختتمه بكلمة قال فيها (كانت الكلمة باللغة الانكليزية أولا ثم بالفرنسية ثانيا) : ان النجاح الذي أحرزه المؤتمر جاء نتيجة للحوار البناء الذي احاط بالابحاث المقدمة . وان زخم المعلومات التي تمخض

عنها العمل الميداني والبحث الاكاديمي حول آثار الاردن خاصة وآثار المنطقة عامة ، وصل حداً يتطلب تأسيس مركز متخصص لمثل هذه الابحاث والدراسات ، وان الاردن يرحب بان يكون مقراً لهذا المركز ، الذي يجب أن يخدم جميع بلدان منطقة الشرق الاوسط في ميادين الآثار والمجالات الموازية لها من تاريخية وبيئية وثقافية .

ونستطيع ان نتعرّف على الانطباع الذي تركه المؤتمر في نفوس الاساتذة الذين اشتركوا فيه ، مما جاء في الكلمة التي ألقاها الدكتور الاب كارني جافن ، مدير متحف هارفرد للآثار السامية ، رداً على كلمة سمو الامير ، اذ قال :

لقد حققتم سموكم وضع الاردن على خارطة الآثار العالمية ، وحفرتم اسم الاردن في قلوبنا جميعا . واننا نقدّر جهودكم للرفع من شأن بلدكم الكريم .

سليمان موسى